2

شرح الإرهاب الانتحاري: مقاربة نفسية

لويس دي لا كورت إيبانييس

الهجوم الانتحاري عملية عدائية يعتمد التنفيذ فيها على وفاة مرتكب الجريمة، وقد أصبحت الهجمات الانتحارية طريقة إرهابية يزداد تطبيقها بين المجموعات المتطرفة، وكما قال بعض الخبراء فالهجمات الانتحارية هي الأحدث في مرحلة تطوير الهجمات التفجيرية، التي استخدمها الإرهابيون لسنوات عديدة (غانور، 2001). وبالنسبة إلى آخرين، فالهجمات الانتحارية هي العمل الواضح في العنف السياسي في عصرنا (جامبيتا، 2006). على أي حال، خلال العقود الثلاثة الماضية، ظهرت هذه الظاهرة في بلدان عديدة من العالم، بما في ذلك لبنان وإسرائيل، وسريلانكا، والعراق، والولايات المتحدة، وإسبانيا، والمملكة المتحدة، وأفغانستان، وباكستان، والهند، والجزائر، والمغرب، وتركيا، والشيشان، وأوزبكستان،... إلخ.

وقد اقترب العلماء من هذا الموضوع من مختلف التخصصات العلمية والرؤى النظرية. وبناء على ذلك، ومع الفهم المسبق والعام حول الإرهاب (دي لا كورت، كروغلانسكي، دي ميغيل، سابيوسيدو، ودياز، 2007)، فقد وضعت في هذا الفصل (الأول) الخطوط العريضة للتفسير النفسي للهجمات الإرهابية الانتحارية؛ فقد طورت هذا التفسير في مرحلتين متتاليتين: أولًا، قدمت توصيفًا للإرهاب الانتحاري من وجهة نظر نفسية. ثانيًا، تناولت الدينامية المتعددة الأبعاد التي هي متأصلة في تطوير أي حملة إرهابية انتحارية منظمة؛ لهذا سأحاول الإجابة عن ثلاثة أسئلة مهمة: لماذا تنقل المنظمات الإرهابية تكتيكاتها إلى إستراتيجية الاستشهاد؟ ولماذا يضفي الأصوليون طابعًا متطرفًا على مواقفهم عند نقطة معينة ليصبحوا انتحاريين؟ ولماذا يدعم الناس التكتيكات الانتحارية؟

الإرهاب الانتحاري بصفته ظاهرة نفسية أكثر من أعراض الاضطرابات النفسية أو الاجتماعية

أشار كروغلانسكي وفيشمان (2009) إلى أن متلازمة الرأي موجودة ضمنًا في العديد من علاجات الإرهاب، ومن وجهة النظر تلك فإن الهجوم الإرهابي مثل المتلازمة التي تطالب بالبحث عن بعض الأسباب المحددة: داخلية (مثلًا، الصفات الشخصية) و/ أو أسباب خارجية (على سبيل المثال، الفقر والقمع السياسي). بعبارة أخرى، يمكن أن ننظر إلى الإرهاب الانتحاري على أنه نتاج بعض الاضطرابات الاجتماعية أو النفسية، ومع ذلك لم تكشف البحوث التجريبية عن أي اضطراب نفسي يميّز المهاجمين الانتحاريين وقادتهم؛ فحياتهم الشخصية ليس فيها ما يكفي من المعلومات لإعطاء تفسير جاد عن سلوكهم.

أخيرًا، هناك أيضًا شكوك حقيقية حول تأثير ما يسمى (الأسباب الجذرية) الاجتماعية أو الظرفية على الإرهاب الانتحاري؛ ولذلك من غير المرجح أن يظهر الإرهاب الانتحاري وكأنه نتيجة حتمية لبعض الأسباب الجذرية، مثل الفقر أو القمع السياسي (كروجر وماليكوفا، 2002). فوجهة النظر البديلة ترى أن الإرهاب، بما في ذلك الإرهاب الانتحاري، أداة: الغاية في النهاية، وتكتيك حربي يمكن لأي شخص أن يستخدمه. هذا الافتراض يتفق مع الأدلة بشأن مختلف الجماعات المتطرفة التي نفذت هجمات انتحارية من أجل تحقيق أهداف مختلفة. فالإرهاب بوصفه أداة يتناغم أيضًا مع المفهوم النفسي النموذجي حول السلوك والتفاعل الاجتماعي.

وفقًا للتعريف الكلاسيكي، فإن علم النفس الاجتماعي هو الدراسة العلمية للطريقة التي تتأثر فيها أفكار الناس ومشاعرهم وسلوكياتهم بأشخاص آخرين؛ فظاهرة التأثير الاجتماعي هي في صميم علم النفس الاجتماعي. أحيانًا يحدث هذا بطريقة غير متداولة أو غير مباشرة، لكن في أحايين أخرى، يحاول الأفراد والمجموعات بشكل متعمد تغيير سلوك شخص ما؛ فهناك مجموعة متنوعة من التكتيكات يمكن أن يستخدمها الناس للتأثير في الناس الآخرين، فالإرهاب ينطوي على استخدام القوة أو العنف بهدف غرس الخوف بوصفه وسيلة لإجبار الأفراد أو المجموعات لتغيير مواقفهم السياسية أو الاجتماعية، وهذا يعني أن التأثير الاجتماعي هو الهدف النهائي للإرهاب. ومن الواضح أننا نستطيع القول الشيء نفسه عن الإرهاب الانتحاري.

الحملات الانتحارية: حملات ذائعية لكن ليست عقلانية بالكامل

خلافًا لبعض الصور النمطية، الإرهاب الانتحاري ينطوي على بعض درجات العقلانية، وتبعًا للنموذج النظري الأكثر تأثيرًا في العلوم الاجتماعية المعاصرة، يتصرف الأفراد، والمنظمات، والحركات الاجتماعية عادة كما لو أنهم جهات فاعلة عقلانية (كولمان، 1990؛ روزنبرغ، 1995). الجهة الفاعلة العقلانية تطور الأفعال التي تعد أكثر فاعلية لتحقيق أهدافه أو تلبية رغباته. وبعبارة أخرى، ترتبط العقلانية بالأفعال الذرائعية أو بتلك الموجهة نحو هدف معين، وهو ما يتسق مع الإرهاب بصفته أداة رؤية. إن فرضية التوجه الذرائعي للانتحار يدعمها سببان رئيسان؛ الأول أن معظم الهجمات الانتحارية لا تشكل حوادث معزولة بل يتم إدراجها في حملات، وفقًا لجدول زمني دقيق ووفقًا لمبادئ توجيهية.

الثاني، الجماعات والقادة الذين يعززون الهجمات الانتحارية يختارون هذه الطريقة من بين طرق أخرى لكي يحققوا أهدافًا إستراتيجية بعينها. الحجج التي يتذرع بها القادة الجهاديون والمنظرون لتبرير التفجيرات الانتحارية وتحليل تطور معظم المنظمات الإرهابية التي نفذت حملات من الهجمات الانتحارية، توضح المعنى الذرائعي لمثل هذه الأنشطة العنيفة (بيب، (2005، قد لا يكون المتطوعون الذين هم على استعداد كامل لتفجير أنفسهم على دراية كاملة بذلك، ولكن موتهم عادة ما يخدم خطة تهدف إلى تحقيق أهداف إستراتيجية وعملية وتكتيكية بعينها.

الأهداف الإستراتيجية الرئيسة المرتبطة بالهجمات الانتحارية هي طرد قوات الاحتلال الأجنبية، والاستقلال الوطني وزعزعة الاستقرار أو استبدال النظام السياسي، وتأجيج الصراع العنيف القائم، أو تعطيل عملية حل سلمي لنزاعات سياسية أو عرقية أو دينية. بلوم، 2005؛ غانور، 2001؛ غوبتا وموندرا، 2005؛ مقدم، 2007؛ بيب، 2005.

وعلاوة على ذلك، هناك العديد من الفوائد العملية والتكتيكية، أهمها ما يأتي: أعلى درجات الفتك، والتأثير النفسي والاجتماعي الشديد، جلب تغطية إعلامية واسعة، نقل الرسائل ذات الصلة إلى الجمهور؛ العزم والتصميم، والالتزام بالتصعيد، وإعاقة المراقبين المحايدين، وفضح العدو، وإغراء المجندين. (حافظ، 2007)، والوصول إلى الأهداف المحصنة جيدًا وذات

القيمة العالية، الاستقلال عن أنظمة التحكم عن بعد لتفعيل الأجهزة الناسفة، لا يتطلب خطة للهروب، لا فرصة لأسر المهاجمين، إلخ. (بلوم، 2005؛ غانور 2001؛ حافظ، 2007؛ مقدم، 2007؛ بيب، 2005) أخذوا هذه المزايا كلها بالحسبان، وحتى اليوم تنطوي العقلانية على دافع أساسي وحساب تفاضلي للفوائد وتكاليف العمل (من الواضح أن القيام بهجوم انتحاري هو محصلة قرار عقلاني). (غانور2001.)؛ لكن: هل هو قرار عقلاني بالكامل؟

على الرغم من أن معظم الباحثين يتفقون أن حملات الأعمال الإرهابية الانتحارية تتبع المنطق الذرائعي على المستوى الإستراتيجي، إلا أن هناك أسبابًا عديدة تؤكد أن العقلانية البحتة لا يمكن أن تعطي شرحًا كاملًا لهذه الظاهرة. هناك طيف واسع من الدوافع تبدو مرتبطة بالإرهاب الانتحاري خارج الاعتبارات العقلانية. من المهم أن نشير إلى تأثير الدوافع غير (الموجهة لتحقيق النتائج (والتي شجعت الناس على أن يصبحوا انتحاريين أو يدعمون الإرهاب الانتحاري). كروغلانسكي وآخرون، 2009. وهكذا، فالعواطف المرتبطة بالألم وافتقاد الشخصية والإذلال، والأكراه أو الانتقام يمكن أن تلعب دورا تحفيزيًّا حاسمًا (بلوم، 2005؛ ريكولفي، 2005). لكن السنن الاجتماعية يمكن أن يكون لها دور حاسم أيضًا؛ على سبيل المثال، استنادًا إلى المعلومات المستخرجة من المقابلات، أشار أتران (2006) إلى أن الشعور العميق بالتزامهم أن يصبحوا (شهداء) يثبت انتشار الدوافع غير الذرائعية بين الانتحاريين ذوي التوجه الديني.

حجة أخرى ضد الرؤية القائلة: إن الإرهاب الانتحاري عمل عقلاني بالكامل يمكن استبعادها من القيود الخاصة لنظرية الخيار العقلاني؛ إذ تفترض نظرية الاختيار العقلاني في نسختها المبكرة، أن عقلانية الإنسان تميل إلى أن تكون قريبة من الكمال، ومع ذلك فقد أظهرت البحوث النفسية أن العقلانية في معتقدات الإنسان وخياراته محددة وغير مكتملة؛ بسبب القيود المعرفية الخاصة للعقل البشري وتداخلها بالعاطفة والدافع. (كانيمان، 2011؛ سيمون، 1995). المقاربة النفسية لتفسير أي سلوك إرهابي يجب أن تضع في الحسبان مبدأ محدودية العقلانية. هذا المقاربة تنسجم مع وجهة النظر التالية من إلستر 2006:

ليس هناك شيء في حد ذاته غير منطقي في أن يكون أحد ما مستعدًّا للتضحية من أجل قضية، وحتى أقلهم رغبة يرسلون غيرهم للموت من أجل ذلك. . . ومع ذلك في بعض الحالات الهجمات الانتحارية أحوج ما تكون إلى العقلانية؛ نظرًا إلى عدم الاستقرار في الدوافع الكامنة، أو أيضًا بسبب أن بعض المهاجمين يخضعون إلى شكل الاعتقاد غير العقلاني.

البناء الاجتماعي للانتحاريين

المنظور النفسي الاجتماعي يميل إلى شرح الخصائص النفسية للأفراد بصفتها محصلة عمليات تفاعل اجتماعي، وطالما لا توجد صورة نمطية فريدة من نوعها، فقد تكون الفرضية الاجتماعية النفسية (سيكوسوشيال) السابقة مفيدة لتتبع أصل الاستعداد لتنفيذ الهجوم الانتحاري؛ فالمسار الذي يوصل إلى المشاركة في المهمة الانتحارية يمكن النظر إليه على أنه محصلة لتراكمات التنشئة الاجتماعية التي يمكن الاستعانة بتفسيرها من خلال الآليات النفسية الاجتماعية الكلاسيكية، وهذا يتفق مع الأدلة التجريبية حول كيفية الانضمام إلى مجموعة إرهابية، وعادة ما تتأثر كثيرًا بالسياسة السائدة والبيئة الاجتماعية المشتركة من قبل الأصدقاء والأقارب. العديد من الدراسات التي بحثت كيف يصبح الفرد إرهابيًّا أرجعت ذلك في الأساس لقضية التنشئة الاجتماعية. (الحقول، 1979، سيلك، 2006). ومما يسهل التطرف والمشاركة في أعمال العنف الاتصال مع الناس الذين يتبنون أيديولوجية متطرفة؛ فالتفاعل الاجتماعي هو الوسيلة التي يتلقى الأفراد من خلالها الأسباب التي تحفزهم، و(تبرر) رغبتهم في التخلي عن حياتهم لتنفيذ الهجوم الإرهابي، وطالما أن التفاعل الاجتماعي شرط للاندماج في المجموعة الإرهابية، فهذا التفاعل من شأنه أن يسهل على الناس اختيارهم المشاركة في مهمة انتحارية وما عليهم إلا أن يضعوا هذه الرغبة في الممارسة العملية.

إن التفاعل بين من سينضمون إلى صفوف الانتحاريين وبين أعضاء في الشبكات المتطرفة أو المنظمات المتطرفة يمكن أن يتخذ مسارين من التأثير الاجتماعي؛ الأول هو النمط من الأسفل إلى الأعلى، حيث يأخذ المهاجمون الانتحاريون زمام المبادرة في انضمامهم إلى شبكة متطرفة أو منظمة إرهابية، وقد أظهرت الدراسة التي أجراها سيغمان (2004، 2008 أهمية هذا النمط في إشراك الناس في ما يسمى الحركة السلفية الجهادية العالمية، إذ ذكر سيغمان

(2004) أن الانضمام لهذه الحركة العنيفة التي تدعم الهجمات الإرهابية الانتحارية وتشجعها هي في أساسها من أنشطة (الأسفل إلى الأعلى). وبما أن تنظيم القاعدة هو المنظمة البارزة عالميًّا ليس لديه برنامج تجنيد رسمي من أعلى إلى أسفل، لكن من ناحية أخرى، وبسبب ردة الفعل على هجمات 9/11 التي أثارت الانتحاريين العملانيين في تنظيم القاعدة، فقد واصلت المجموعات تنفيذ الهجمات الانتحارية باسم تنظيم القاعدة، وإن لم تكن تخضع رسميًّا إلى القيادة العليا لتنظيم القاعدة، إنما مجموعة من الأصدقاء قرروا أن يفعلوا شيئًا مستوحىً من خطاب تنظيم القاعدة. (سيغمان، 2004، 2008).

وعلى الرغم من الانتقاد الشديد الذي وجه إلى رؤية سيغمان، فإن علينا الحفاظ على تأكيده كيف قامت الروابط الاجتماعية القائمة مسبقًا (القرابة والصداقة، وفي وقت لاحق الزمر غير الرسمية)، بتسهيل التطرف لدى الأفراد والجماعات الذين يجتمعون في أحيائهم وعلى شبكة الإنترنت ليخططوا لأعمال العنف، بما في ذلك الهجمات الانتحارية.

النمط الثاني للتأثير من خلال التفاعل الاجتماعي الذي يسهم في صنع الانتحاريين هو من (أعلى إلى أسفل) أو العمودي. ينطوي هذا النمط على مبادرات يروج لها قادة وأعضاء المنظمات الإرهابية من خلال اتصالاتهم بالأشخاص الذين قد يكونوا مهاجمين انتحاريين جدد، لتجنيدهم وتلقينهم وتدريبهم. حتى الآن، نادرًا ما تنفذ هجمات انتحارية يقوم فيها أفراد من تلقاء أنفسهم، وإنما من قبل أناس أصبحوا أعضاء أو منظمات أو جماعات أو خلايا ارتبطت بشبكة أكبر، وهذا النمط من عمليات التأثير يجب ألَّا نستخف به في فهم الإرهاب الانتحاري. وكما يدعي حافظ (2007)، الجماعات والمنظمات الإرهابية تلعب دور بنى التعبئة التي تسهل انخراط متطوعين جدد للتضحية بأرواحهم دفاعًا عن قضية سياسية أو دينية. من ناحية أخرى، كشفت بعض الدراسات التشابه الكبير بين طرق التلقين التي تطبقها الجماعات الطائفية وتلك التي تستخدم داخل المنظمات الإرهابية (ديلا بورتا، 1995؛ دي لا كورتي، 2006؛ سيغمان، 2004). على أي حال، ليس هناك شك بأن الأنشطة ونمط الحياة الذي تتبناه المنظمات الإرهابية هو الذي يصوغ عقلية أعضائها، ويزيد من التزامهم بهذه المنظمات، ويعدُّهم للمشاركة في أعمال العنف والأنشطة الأخرى مثل الهجمات الانتحارية. الممارسات التنظيمية النموذجية التي

ستكون حافزًا للانتحاريين للمشاركة فيها، مثل الطقوس الدينية أو الطقوس الملزمة الأخرى، والإدلاء ببيانات مكتوبة أو مسجلة على شريط فيديو قبل أيام قليلة من تنفيذ المهمة، أو الاندماج في وحدات متماسة جدًّا، تبدو مصممة للحفاظ على ديمومة غياب العقل، الحالة التي لا بد منها إذا أراد أحدهم أن يفجر نفسه. (جامبيتا، 2006؛ مراري، 199).

مسائل الهوية الاجتماعية

قال وليام جيمس (1891) في كتابه الرائد **مبادئ علم النفس**: إن الطريقة التي يعرف الناس أنفسهم بها تعد أساسية لتفسير حالاتهم العقلية، ومشاعرهم، وتصرفاتهم؛ فعلم النفس الاجتماعي والعلوم الاجتماعية الأخرى التقطت هذا المبدأ مركزة في هذا على الجوانب الاجتماعية للهوية، ذلك أن المفهوم الذاتي الذي يتقاسمه الأفراد فيما بينهم، يسمح لهم بأن يقدموا أنفسهم على أنهم أعضاء في مجموعة اجتماعية أو في المجتمع. إن دراسة الهوية الاجتماعية (أو الهوية الجماعية، كما يفضل أن يسميها كثير من علماء الاجتماع والعلماء السياسيين) فتحت نافذة لفهم كيف تتفاعل العمليات النفسية مع العمليات الاجتماعية السياسية في سببية السلوك الاجتماعي البشري والعمل الجماعي؛ ولهذا ليس من المستغرب أن ينظر العديد من العلماء إلى الهوية الاجتماعية على أنها ظاهرة ذات أهمية خاصة لدراسة الإرهاب. (دي لا كورت، 2006؛ & تايلور لويس، 2003).

في الواقع، إن آليات وتجارب التعريف بالذات الجماعية أثَّرت بصورة رئيسة في ظهور أنواع الحركات أو المنظمات السياسية أو الدينية كلها، وأثَّرت في نشاطها وتطورها، بما في ذلك منظمات المتطرفين والإرهابيين. وعلاوة على ذلك، يبدو هذا جليًّا بشكل خاص في حالة الإرهاب الانتحاري، ولا يهم في ذلك إن جرى التركيز على المعاني التي يمتدح فيها الانتحاري العمل الذي يقوم به، والدعم الذي يمكن أن تتلقاه الهجمات الإرهابية من بعض المجتمعات.

تشير البحوث في التطرف إلى أن التورط في الإرهاب الانتحاري في كثير من الأحيان يبدأ من حاجة الفرد إلى أن يجد هويته أو يعيد هيكلتها على نحو هادف. (د. الجارد-نيلسينا 2010، مرشدة وبافان، 2011)؛ فالانتماء إلى جماعات اجتماعية داعمة يمكن أن يقلل من الاضطراب

النفسي لدى الفرد ويعزز من احترام الذات، ومن ثم يمكن أن يكون علاجًا لبعض الجروح الناجمة عن التجارب الشخصية الصعبة، حيث تقدم بعض المنظمات الإرهابية على وجه الخصوص أيديولوجيا مع مكون أخلاقي قوي، ومعنى عميق، ورؤية متفائلة للمستقبل.

ليس من قبيل المصادفة أن تنزع المنظمات الإرهابية الانتحارية إلى وصف نفسها بأنهم أبطال المجموعات الوطنية والإثنية والدينية، كما يعدُّ المتطوعون لمهام انتحارية بأن موتهم تضحية من أجل مجتمعهم الذي يعيشون فيه، وتحاول الآلة الإعلامية الإرهابية أن تعزز هذه الفكرة في المجتمع الذي ينتمون إليه؛ لذلك يبدو من الطبيعي أيضًا أن تجد الدوافع الدينية والوطنية وكذلك المشاعر والسجالات وثيقة الصلة بالإرهاب الانتحاري، وقد ادعى بيب (2005) أن الوطنية هي (أصل) الإرهاب الانتحاري المعاصر، حيث يعرف هذا الكاتب الوطنية (بأنها الاعتقاد السائد بين أفراد المجتمع أنهم يتقاسمون مجموعة فارقة من الخصائص العرقية واللغوية والتاريخية، ويحق لهم أن يحكموا وطنهم دون تدخل من جهات أجنبية (.

في جزء آخر، يرى بيب (2005) أن العامل الديني له تأثير كبير في الحملات الانتحارية حين يظهر الدين ارتباطه بالوطنية، هذا الارتباط يدعمه بتحليلاته الخاصة في هذا الكون والحالات التي تسيطر فيها دولة ديموقراطية على وطن فيه مجتمع متميز للمدة من 1980 إلى 2003. وهكذا، كانت هناك 49 حالة مطابقة من أصل 58 لنظرية الإرهاب الانتحاري الوطني، التي تتنبأ بوقوع حملات انتحارية نتيجة لدمج عاملين، هما: وجود مقاومة منظمة عنيفة (تمرد)، ووجود اختلاف ديني بين المحتل الخارجي والمجتمع المحلي. ومن وجهة نظر بيب (2005)، فإن تلك عوامل حاسمة لأن حملات الإرهاب الانتحاري تتطلب دعم مجتمع كبير، واحتلالًا أجنبيًّا، وفروقًا دينية لصالح الاندماج بالمجتمع المحلي مع وجود منظمة إرهابية محلية. على أي حال، كان صحيحًا، كما ادعى بذلك بيب (2005) حين قال، إن الشهادة (أن يموت أحدنا من أجل مجتمعه) هو بناء اجتماعي، وهي المرجعية للمجتمع الإرهابي الذي يحكم ما إذا كانت التضحية بالنفس من قبل أفراد معينين ترتقي إلى منزلة الشهيد. ومع ذلك، مؤلفون آخرون يعدون أن نظرية بيب الوطنية حول الإرهاب الانتحاري تقلل من تأثير الهوية الدينية في منظور المنظمات الانتحارية ومتطوعيها ومؤيديها ودافعهم، وسلوكهم. يبدو هذا صحيحًا لو لاحظنا تطور الإرهاب الانتحاري

خلال السنوات الماضية، وهي المدة التي أصبحت فيها الجهادية العالمية الملهمة الرئيسة للمهاجمين الانتحاريين في جميع أنحاء العالم.

منذ ذلك الحين، وبين عامي 1980 و1990 (الثمانينيات والتسعينيات)، وقعت الغالبية العظمى من الهجمات في عدد قليل من الدول مثل إسرائيل، ولبنان، وسريلانكا، وتركيا، وأظهر التهديد الذي يمثله تنظيم القاعدة أن الإرهاب الانتحاري أيضًا يمكن أن يكون وسيلة تستخدمه المنظمات الإرهابية الدينية وليس المنظمات الإرهابية الوطنية. وعندما قامت الشبكات الجهادية والمجموعات والمنظمات في العراق في الدول الإسلامية الأخرى بتنفيذ الهجمات الانتحارية استهدفت على نحو متزايد المسلمين، وأصبح واضحًا أن الحملات الانتحارية يمكن تبنيها بوصفها جزءًا من إستراتيجية ليس من أجل الحصول على الوطن القومي فقط، وإنما لإسقاط الأنظمة السياسية أيضًا (في تلك الحالات، تعد الأنظمة غير إسلامية، وفقًا لرأي الجهاديين، كما يرى الباحث مقدّم (2007). وعلاوة على ذلك، فإن تجربة الإرهاب الانتحاري في العراق منذ عام 2003 هي خير مثال على أن الوطنية ليست المحرك الرئيس للإرهاب الانتحاري، عادًّا أن ذلك يتطابق مع بلد عربي محتل فيه أعلى معدل للهجمات الانتحارية لسنوات عديدة، نفذت غالبيتها ليس من قبل العراقيين الانتحاريين المتطوعين، ولكن من قبل المتعصبين الدينيين الأجانب من الشبكات السلفية الجهادية، ولم تكن موجهة ضد القوات الأجنبية وإنما إلى قوات الأمن العراقية والسكان المحليين. (حافظ، 2007).

باختصار، الأهداف المتطرفة المرتبطة بأطر الهويات الجماعية، وسواء كانت قومية أو إثنية أو دينية، ربما تؤدي إلى العنف الانتحاري، وفهمنا لهذه العلاقة يمكن أن يتطور إلى حد كبير إذا أخذنا المقاربة النفسية. في هذا المعنى، من المفيد أن نتذكر أن معظم الظواهر الإرهابية لها جذورها في عمليات التطرف لبعض الحركات السياسية أو الدينية الموجودة من قبل. ومن ثم، هناك توازٍ مهم بين الطريقة التي تظهر وتتنامى فيها الحركات الاجتماعية العادية والحركات الإرهابية (دي لا كورت، 2006؛ ديلا بورتا، 1995؛ حافظ، 2007). وكما يشير البحث، لن تظهر أو تستمر أي حركة سياسية أو دينية من دون التنشيط النفسي المزمن من إحساس دائم بالهوية المشتركة بين أعضائها، والمتعاونين معها، وأنصارها. (انظر سايمون اند كلاندرمانز،

2001). وهذا أكثر أهمية بكثير لدى الحركات التي هدفها الدفاع عن القيم والمصالح التي تفترض أنها مهددة من قبل مجتمع قومي أو إثني أو ديني محدد (كاستلز، 2004)، كما تمثلها منظمات متطرفة مدعومة بأيديولوجيا عرقية – قومية أو دينية.

الأفراد ينظمون أنفسهم، ويقدمون أنفسهم على أنهم أعضاء في مجتمع كبير واسع يعدونه يعاني الظلم والإذلال، وتتعرض مصالحه وقيمه الجماعية للتهديد؛ فأيديولوجيا الإرهابيين غالبًا ما توفر الطمأنينة لهذه الشكايات من هويتهم الاجتماعية المهددة، وتحفظ لهم مشاعر تحديد هويتهم التي يمكن الوصول إليها من الناحية النفسية مع المرجع الاجتماعي؛ على سبيل المثال، مجتمع التاميل بالنسبة إلى نمور التاميل في سيريلانكا، والشعب الفلسطيني بالنسبة إلى حماس، والأمة أو المجتمع المسلم لتنظيم القاعدة. كما أشرنا من قبل فإن نزعة المنظمة الإرهابية للتعريف بنفسها ضمن مرجعيتها المجتمعية يجعل هذه المنظمة أكثر جاذبية في خيار الانضمام إليها في نظر أفراد المجتمع، وعلاوة على ذلك، هنالك نظريتان بارزتان اثنتان من النظريات الاجتماعية–النفسية، مثل نظرية الهوية الاجتماعية (على سبيل المثال، تاجفل وتيرنر، 1986)، ونظرية تصنيف الذات (تيرنر وآخرون، 1987) اللتان تنبآن بطرق تكميلية ليست أقل أهمية؛ ذلك أن تحديد الهوية الذاتية للإرهابيين الانتحاريين بصفتهم أعضاء في منظمة ومدافعين عن المجتمع الأكبر يمكن أن يسهم في تعزيز ديناميات الإرهاب الانتحاري، على الأقل ينبغي أن نأخذ بالحسبان المؤثرات النفسية الأربعة الآتية (دي لا كورت، 2006؛ دي لا كورت وآخرون، 2007):

1. **نزع الشخصنة:** إن الإرهابيين يميلون الى عدِّ أنفسهم أعضاء يمكن استبدالهم ضمن مجموعتهم أو منظمتهم، ونتيجة لذلك فالأفضلية عندهم هي مصالح وأهداف المنظمة وليس احتياجاتهم وأهدافهم الشخصية، وهو شرط مسبق للانخراط في عمليات انتحارية.
2. **التماسك الاجتماعي:** فالهوية التي يتقاسمها الإرهابيون تعزز العلاقات الإيجابية بينهم، وتزيد من التماسك الداخلي والتعاون ضمن المجموعة، وهذا يسهل من إعداد وتنفيذ عمليات انتحارية. وليس أقل أهمية، فقد أظهرت البحوث النفسية الاجتماعية بأن التماسك المفرط للمجموعة يؤدي تأثيرات استقطاب على مستوى المجموعة؛ أي

ميل المجموعات لتطوير مواقفها واتخاذ قرارات تكون أكثر تطرفًا من المواقف الأولية المعتدلة للأعضاء. (جيل، 2007).

3. **التأثيرات الداخلية للمجموعة:** كلما ازدادت حدة إحساس الفرد بالانتماء إلى المجموعة، زاد التأثير الذي تمارسه المجموعة عليه. هنالك تأثيرات عديدة تنجم عن معرفة المجموعة بذاتها؛ مثل: طاعة أوامر قادة المجموعة، وتأثير الأغلبية (الاستسلام لرأي الأغلبية)، والتأثير المعياري (الاتفاق الخاص والعام مع بنية معياري للمجموعة، والمعايير التي تحكم سلوك الأعضاء فيها).
4. **النظرة المانوية والتحيز بين المجموعات:** تحديد الهوية مع المجموعة، والمرجعية المجتمعية تحفز الإرهابي لتطوير القوالب النمطية السلبية والتحامل على الناس من المجتمعات الأخرى. فالعالم ينقسم بيننا وبينهم، ويمكن أن تعزى مسؤولية المشكلات والمظالم التي يعانيها المجتمع المرجعي للإرهابيين إلى مجتمع آخر يمكن أن يلعب دور كبش الفداء؛ هذا المنظور يميل لتعزيز النظرة العالمية التي تميل نحو الصراع وتعزز كذلك المشاعر السلبية: (الإذلال، والاستياء، والكراهية) التي عادة ما تلهم الإرهابيين.

مقاربة متعددة الأبعاد

لأول وهلة، قد تكون هناك حاجة إلى شيء واحد فقط لكي يكون هناك هجوم إرهابي انتحاري: وجود فرد على استعداد لقتل الآخرين وقادر على الموت، ومع ذلك فإن غالبية العمليات الإرهابية الانتحارية التي تنفذ يشنها مسلحون من قبل مجموعة أكثر أو أقل تنظيمًا. أخيرًا، وكما يقول لانكفورد (2010، 2011)، إن القبول المجتمعي لأي نشاط يزيد من احتمال مشاركة الناس فيه، والإرهاب الانتحاري ليس استثناء. في الواقع، لقد رأينا قبل ذلك ما يصعب تفسيره من انتشار غالبية الحملات الانتحارية دون الأخذ بالحسبان الدعم الذي تتلقاه تلك الأنشطة من مجتمعات أو جماهير معينة. لذلك، بصفة عامة، الحديث عن الإرهاب الانتحاري يثير تساؤلات مختلفة تتفق مع ثلاثة مستويات من التحليل: لماذا وكيف تشجع المنظمات الهجمات الانتحارية (المستوى التنظيمي)، لماذا وكيف يوافق الأفراد على أن يصبحوا قنابل بشرية (المستوى

الفردي)، ولماذا يلقى الإرهاب الانتحاري دعمًا من بعض الجماهير (المستوى المجتمعي) (مقدم، 2007؛ بيب، 2005). ليس من الممكن تطوير فهم كامل عن الإرهاب الانتحاري دون التحقيق في هذه الظاهرة على تلك المستويات الثلاثة.

الإرهاب الانتحاري بوصفه عملية

كما ذكرنا من قبل، وخلافًا لوجهات النظر النفسية الأخرى، المقاربات الاجتماعية النفسية لا تركز على الفرد وعلى الصفات النفسية التي يحملها فقط، وإنما على عملية المتغيرات مثل تغيير السياق الذي يعمل من خلاله الفرد، وأيضًا العلاقات بين الأحداث والفرد بوصفها تؤثر في السلوك، وقد رأى تايلور وهورغان (2006) أن اعتماد هذا الرأي قد يؤدي إلى تطوير أفضل على صعيد المفاهيم في تحليل السلوك الإرهابي.

تجدر الإشارة إلى أن ظهور الحملات الإرهابية الانتحارية يميل إلى الحدوث في النقطة الأخيرة في عمليات التصعيد؛ حيث تطور المنظمات الإرهابية أعلى مستويات التدميرية (بلوم، 2005). كما تستخدم معظم المنظمات الإرهابية طرائق أخرى من الهجمات قبل أن تبدأ تنفيذ مهام الانتحار (مقدم، 2007)؛ فهو يشير إلى أن الإرهاب الانتحاري ينطوي على ديناميكية محددة. مستوحين من بداهزور (2004)، يمكننا أن نفترض أن ظهور حملة الانتحار تحتاج إلى تغطية مرحلتين؛ المرحلة الأولية ستكون نتيجة ما يمكن أن نسميه التحول الإستراتيجي أو التكتيكي. في هذه المرحلة، الحسابات والنقاشات الإستراتيجية والتكتيكية التي تجري داخل المنظمة الإرهابية، تحفز اتخاذ القرار للانخراط في الهجمات الانتحارية. المرحلة الثانية تنطوي على تفعيل أكثر أو أقل في وقت واحد من اثنتين من العمليات النفسية اللازمة لبدء حملة الانتحار ومواصلتها.

سوف تكون أول عملية هي عملية الردكلة (التطرف) حيث يبدأ عدد من الأفراد التعاطف مع الأيديولوجية السياسية أو الدينية لفكر المتمردين، وتحفيز اندماج من يريد الانتحار في المنظمة الإرهابية، ومن سوف يصبح مستعدًّا من المتطوعين للقيام بالعمليات الانتحارية. غير أن العديد من المؤلفين يتفقون على أن الحركة من التطرف (الردكلة) إلى العمل من أجل قضية

جماعية عادة ما تحتاج إلى إدخال بعض المحفزات الانتقائية. مرة أخرى، علينا أن نتذكر أن الحافز الانتقائي الأكثر تأثيرًا ليصبح انتحاريًّا هو اعتقاده بأنه سيُزف شهيدًا، ومع ذلك يمكن أن ينشأ هذا فقط نتيجة الاستقطاب السياسي أو الديني، وهي عملية تنتقل فيها المواقف السياسية أو الدينية لمجتمع أو جمهور معين إلى أقصى حد في اتجاه دعم الانتحار والأنشطة الإرهابية.

استنادًا إلى البحوث السابقة التي تراكمت عن موضوعنا، فإن آخر جزء من هذا الفصل يحدد العديد من المتغيرات التي يمكن أن تسهم في تفعيل العمليات الثلاث المذكورة أعلاه وتسريعها لتشارك في ديناميات الإرهاب الانتحاري، وطالما أي من هذه المتغيرات تضمن في حد ذاتها ظهور أو إطالة عملية الحملة الإرهابية الانتحارية، فقد اقترحنا النظر إليها بوصفها عوامل خطر، وبهذا يكون الشرط الوحيد الذي يمكن أن يزيد من احتمال قيام شبكة أو جماعة أو منظمة إرهابية باللجوء إلى العنف الانتحاري أو إطالة أمد الحملة الإرهابية الانتحارية (دي لا كورت & جيمينيز-سالیناس، 2009).

المتغيرات أو عوامل الخطر المرتبطة بتغير إستراتيجية أو تكتيك الإرهاب الانتحاري

كل هدف إستراتيجي يمكن أن يحفز الإرهاب الانتحاري قد تكون متابعته بوسائل أخرى. وهكذا، من المنطقي أن نفكر أن التحول الإستراتيجي أو التكتيكي نحو الإرهاب الانتحاري يجب أن يكون متوقفًا على بعض الظروف التي تجعل بعض الإمكانات البارزة الفوائد التي يمكن اتباعها في تنفيذ حملة التفجيرات الانتحارية، ويصبح قرار تعزيز حملة الانتحار أكثر احتمالًا بسبب تدخل واحد أو أكثر من المتغيرات الآتية:

شروط غير متكافئة

في كثير من الأحيان، يتم تنفيذ عمليات انتحارية من قبل الجانب الأضعف في الصراعات التي تتميز بعدم التماثل من حيث القوات المسلحة. إيبانيز (أتران، 2006؛ جامبيتا، 2006؛ مراري، 2005؛ بيب، 2005). ولذلك، سواء كانت الاختلالات الكبيرة في ميزان القوة بين

الإرهابيين وخصومهم حقيقية أم متصورة، فإنها تكثف الدوافع لدمج طرق الانتحار إلى مجموعة عملها.

الشعور بالركود، الأزمة، أو الفشل في استخدام إرهابيين أو وسائل إرهابية أخرى

في بعض الأحيان، القيادة أو بعض فصائل منظمة إرهابية يمكن أن يصبح لديهم انطباع أنهم على وشك الوصول إلى نقطة ركود أو أزمة، نتيجة لعدم فاعلية الإستراتيجيات، والتكتيكات، والأساليب المستخدمة سابقًا (بيب، 2005). هذا الانطباع يمكن أن يؤدي بالإرهابيين للنظر في العمليات الانتحارية بوصفها طريقة بديلة يمكن أن تساعد على التغلب على الحالة المتخيلة من الركود والأزمات، أو الفشل.

التعايش بين عدة جماعات إرهابية أو متمردين

العمليات الانتحارية جذبت الاهتمام أكثر من أي طريقة إرهابية أخرى؛ فالمنظمات التي تروج لها تبعث برسائل عزم وتصميم، وتظهر الانتحاريين أكثر بطولة وجرأة. هذه الصفات يمكن أن تصبح الحوافز الأقوى لنشر الهجمات الانتحارية إذا كانت منظمات إرهابية عدة تعمل في الأرض نفسها، وتسعى إلى تحقيق أهداف مماثلة، وتحاول لفت الانتباه والحصول على دعم من المجتمع أو الجمهور نفسه. وفقًا لبلوم (2005)، تؤكد أمثلة تاريخية مختلفة بأن تكتيكات الانتحار يمكن أن تظهر حين تكون هناك العديد من المنظمات مع درجات متزايدة من القتل، تحاول أن تميز نفسها عن منافسيها. في الواقع، التحول إلى العنف الانتحاري يمكن أن يزيد من التصعيد، خصوصًا في البيئات حيث المجتمعات المحلية تبدأ بدعم التفجيرات الانتحارية، وتشجيع المنظمات غير الانتحارية لاعتماد التكتيك نفسه.

إمكانية الوصول المعرفي ومرحلة ما قبل وجود نشاط إرهابي انتحاري

الشرط الأول، لاتخاذ قرار باستخدام العمليات الانتحارية هو المعرفة والتفكير بها (إلستر، 2006؛ & كاليفاس سانشيز كوينكا، 2006). جزء من هذا السبب، فإن الكشف عن أمثلة من

الإرهاب الانتحاري، أو عن معلومات حول مهمة انتحارية نفذت من قبل منظمة إرهابية أو أكثر يمكن أن يزيد في بعض الأحيان من استلهام مجموعات أخرى لمحاكاة هذه المنظمات. يمكن أن يحدث هذا في بيئة واحدة تتسم بالمنافسة بين المنظمات الإرهابية المختلفة، ويمكن أن يحفز انتشار تكتيكات انتحارية من سياق إلى سياق آخر، ومع ذلك فالإرهاب الانتحاري يكون نتيجة تحول إستراتيجي أو تكتيكي، ولن يحدث بتأثير العدوى إلا في حالة معينة؛ أي إن الكشف عن أمثلة (نماذج) أو معلومات حول الهجمات الانتحارية سوف يسهم في هجمات انتحارية بفاعلية تكتيكية كبيرة بالمقارنة مع الإرهاب التقليدي، وهذا يتفق مع الفرضية المركزية من نظرية التعلم الاجتماعي التي تنص على أن الناس عادة تحتاج إلى البحث عن سبب وجيه لكي تقلد الآخرين، وهذا السبب عادة ينتج عن ارتباط بمكافأة (ملموسة أو مفترضة) عن السلوك الذي سيتم تقليده (باندورا، 1979).

من وجهة النظر هذه، يضيف باندورا أنه كلما نسب المراقب المزيد من أوجه الشبه (في المواقف والصفات، أو القيم) إلى أناس آخرين، كان الإعجاب أكثر بذلك المقلد السابق بما يقوم به من سلوك ناجح هذا الأخير. من ناحية أخرى، نظريات الحركة الاجتماعية تسلّم أن نقل الإستراتيجيات والتكتيكات الجديدة يمكن أن تتيسر من خلال تشابه الظروف. حيث يشير في هذا المعنى كل من ديلا بورتا وديماني (2006)، إلى أن تصورات الظروف المشتركة تمكن النشطاء من اعتماد أساليب من مختلف البلدان أو المناطق؛ لأنهم يرون أن ثمة (تكافؤًا وظيفيًّا) بين المرسِلين والمتبنين للابتكار. في الوقت نفسه، يرى حافظ (2007) أن الكشف عن أمثلة من الهجمات الانتحارية التي ينفذها الآخرون لا يدعم فقط نشر التكتيك الانتحاري لأنه يبدو ناجحًا، وإنما سيقدم على أنه عمل مشروع في نظر المقلدين المحتملين.

المتغيرات أو عوامل الخطر المرتبطة بعمليات الاستقطاب والتطرف (الردكلة)

عمليات الاستقطاب والتطرف(الردكلة) السياسية منها أو الدينية المرتبطة بالإرهاب الانتحاري هي وثيقة الصلة ببعضها؛ الظاهرتان لهما نتائج نفسية مماثلة؛ على سبيل المثال،

التغير الإيجابي في المواقف تجاه العنف الانتحاري والمنظمات الانتحارية. وكما أظهرت البحوث، فإن التغير في المواقف الشخصية والجماعية لصالح استخدام الإرهاب الانتحاري يمكن أن يسهل على الأقل من خلال العوامل الآتية:

الصراعات المستعصية والخلافات الحادة

يصنف الخبراء الصراعات المستعصية بأنها طويلة الأمد، ولا يمكن التوفيق بينها، وأنها عنيفة، وذات طابع محصلته صفر، وشمولية، ومركزية للأطراف كلها التي لها مصلحة في استمرارها، وتبدو غير قابلة للحل، كريسبيرغ، (1998) ومن المثير للاهتمام أخذ الآثار النفسية للصراعات المستعصية على الحل بالحسبان، وكما يرى بار تال (2000، 2007)، بما أن الصراعات المستعصية مؤلمة، ومضنية، ومرهقة، ومثيرة للقلق، ومكلفة سواء على الصعيد البشري أو المادي، ينزع أعضاء المجتمع أو المجموعات البشرية المعنية إلى تطوير مجموعة من الشراكة في المواقف والإدراك التي توفر التوجهات والأخلاقيات السائدة التي تمكنهم من التعامل بنجاح مع حالة الصراع. من حيث المواقف، هذه (البنية التحتية النفسية) يمكن أن تشمل عناصر التفاني في حب البلد؛ المجتمع العرقي أو الديني، والحافز الكبير للمساهمة؛ المثابرة والاستعداد للتضحية الشخصية، والوحدة والتضامن والعزيمة؛ الشجاعة والحفاظ على أهداف المجتمع أو المجموعة الاجتماعية.

ضمن المعتقدات المركزية المشتركة من بين العديد من المعتقدات المشتركة التي أشار إليها بار تال (2007)، بوصفها عناصر من هذه الخلافات الحادة، نريد أن نؤكد الآتي: المعتقدات حول عدالة أهداف المرء التي تؤدي إلى الصراع، معتقدات الصورة الذاتية الإيجابية بشأن النزعة الإثنية التي تنسب إليها الصفات الإيجابية، والقيم، وسلوك الفرد في المجتمع، معتقدات المرء المتعلقة بالأذية حين يقدم المرء نفسه بوصفه ضحية مركزًا على الضرر الجائر، والأفعال الشريرة، والفظائع التي ارتكبها العدو، معتقدات نزع الشرعية عن الخصم، معتقدات الوطنية والوحدة التي تولد الولاء إلى الوطن أو المجتمع من خلال إشاعة الولاء، والحب، والرعاية، والتضحية، مع الإشارة إلى أهمية تجاهل الصراعات الداخلية والخلافات من أجل توحيد القوى

في مواجهة التهديد الخارجي. وغني عن الشرح كيف أن الخلافات الحادة الناتجة عن هذه المعتقدات المشتركة والمواقف المقابلة لها، يمكن أن تخلق بيئة مواتية للانخراط في ممارسات متطرفة مثل التفجير الانتحاري لمجتمعهم أو تقديم الدعم لهذه الممارسات.

وبعيدًا عن خلق خلافات حادة بعينها، تبقى الصراعات المستعصية أو المستدامة لها تأثيرها في الحالات الذهنية للأفراد والجماعات، وفي أشكال أخرى يمكن أن تسهل أيضًا التطرف (الردكلة) وتزيد الدعم للعنف، بما في ذلك العنف الانتحاري، ونحن نركز بشكل خاص على أثرين: سمة الموت، والصدمة الشخصية أو القريبة.

سمة الموت Mortality salience

مما لا شك فيه أن الصراع المستمر يجلب الشعور بالتهديد إلى الصدارة. إن زيادة الوعي بموت أحدنا في نهاية المطاف - سمة الموت - يصبح عنصرا مهمًّا من ذلك الشعور القوي بالتهديد، وقد أظهرت البحوث النفسية أن سمة الموت والخوف من الموت تستطيع تحفيز مجموعة من النتائج النفسية ذات صلة، التي يمكن أن تسهم في الانخراط في العنف الانتحاري ودعم المنظمات الإرهابية الانتحارية. الأولى، عند الإحساس بالتهديد أو موتهم يصبح سمة مشاعر إيجابية تجاه منظومة الاعتقاد عند أحدنا، ويبرز أولئك الذين يحملون معتقدات مشابهة، ونتيجة لذلك، فإنه من المحتمل جدًّا أن يقوم الشعب بدعم وجهة نظرهم الخاصة، وينشغلون فيما يسمى (الدفاع عن النظرة)، في حين يزيدون أيضًا من تواصلهم مع المجموعة، ويزيدون كذلك من مشاعرهم السلبية تجاه أولئك الذين ينظرون إليهم على أنهم يشكلون تهديدًا لهم. أضف إلى ذلك، أظهر غرينبرغ وآخرون (1990) وجود صلة مهمة بين الخوف من الموت وما يطلق عليه كروغلانسكي وفيشمان (2009) الموضوع العميق الذي يشكل الأساس لمعظم الدوافع السطحية المختلفة لدى الإرهابيين: البحث عن معنى الشخصية وأهميتها. وضعت في كلمات المؤلفين، -بشكل عام- إدراك حقيقة الموت والخوف من العيش حياة غير ذات أهمية، تدفع الناس على أن يكونوا أعضاء (صالحين) في المجتمع، لكن عندما تواجه مجموعة ما تهديدًا محتملًا يهدد وجودها، فهذا (الصلاح) سيؤدي إلى التضحية بالنفس من أجل المجموعة الأكبر،

وعلاوة على ذلك، إلى جانب تمجيده وتقديره عاليًا من قبل المجموعة، فهو بذلك يمكن أن يحقق وعد الخلود حين يصبح شهيدًا، تُحفر ذكراه في الذاكرة الجماعية للمجموعة إلى الأبد. (كروغلانسكي وفيشمان، 2009).

من ناحية أخرى، كثير من الشواهد التجريبية تشير إلى أن سمة التهديد تزيد من الاعتماد على الأفكار النمطية لتمييز التهديد خارج المجموعة (أرندت، غرينبرغ، وكوك، 2002؛ سشيمل وآخرون، 1999). كما أكدت الدراسات وجود علاقة إيجابية بين سمة التهديد، واحتمال اللجوء إلى وسائط استبدادية في التفكير (جيل، 2007؛ غرينبرغ وآخرون، 1990؛. لافين، لودج، بوليتشاك، وتابر، 2002)، والحاجة إلى قيادات قوية لتقليل القلق الناتج عن الوضع (مونتووري، 2005)، بما في ذلك القادة الذين يعتنقون القيم السلطوية والروايات الرمزية التي ينظر إليها على أنها شرعية وعدائية تجاه أولئك الذين يتسببون بالتهديد والقلق، وقد أكد غيل (2007) أهمية البيانات التجريبية المذكورة أعلاه لفهم العملية، حيث الجماهير تصبح عرضة لتأثير الروايات والقادة الذين يشجعون الإرهاب الانتحاري.

الصدمة القريبة proximal trauma

بعض الأحداث المؤلمة تعمل في كثير من الأحيان كما التذكير بالموت، مما يساعد على تنشيط الآثار المرتبطة بسمة الموت، وبعيدًا عن ذلك تبقى العلاقة بين التجارب المحبطة أو المؤلمة والسلوك العدواني هي الموضوع الكلاسيكي لعلم النفس الاجتماعي، وقد اقترح العديد من الكتاب هذه الفكرة التي تتسق مع المنطق السليم، لشرح أصول التطوع في الهجمات الانتحارية (سبيكهارد وأخميدوفا، 2005). وبالنظر إلى أن العديد من الانتحاريين لم يمروا بصدمة شخصية، ناهيك عن أن معظم الناس المصابين بصدمات نفسية لا يتورطون في الإرهاب، وأن غالبية الإرهابيين لا يعانون اضطرابات نفسية، فلا يمكننا دعم نظرية الصدمة بوصفها تفسيرًا عامًّا، ومع ذلك إذا استعرضنا قائمة المحفزات التي تسرع عادة الإكراه ليصبح شخصًا انتحاريًّا، يمكننا أن نرى أن العديد مصابون ببعض أنواع الحوادث المؤلمة مثل المعاناة الشخصية، والمعاناة من الإذلال، والتعرض لأعمال العنف من قبل قوات المعارضة أو التعذيب

أو موت بعض الأصدقاء أو أحد أفراد أسرته (انظر أدناه)، والسجن، والقيود المفروضة على الحركة، والإحباط من الأهداف الشخصية، وما إلى ذلك (جيل، 2007)، وتجدر الإشارة إلى أنه يمكن لهذه التجارب المؤلمة أن تكون متكررة نسبيًّا بين الأفراد الذين ينتمون إلى أقلية تتعرض للتمييز، أو الناس الذين يعيشون في المجتمعات التي تمر بصراعات عنيفة.

تنفيذ إستراتيجيات مكافحة الإرهاب الدامي

لوحظت في العديد من المناسبات العلاقة الوثيقة بين ردود الفعل المفرطة على الإرهاب وبين زيادة النشاط الإرهابي، ويمكن تطبيق هذه الفرضية على الإرهاب الانتحاري. النسب المئوية للدعم للهجمات الانتحارية هي أعلى في البلدان أو المناطق التي فيها متعاطفون محتملون، والمجتمع الحاضن للمجموعات الإرهابية الذين عانوا القمع الشديد على يد قوات الأمن أو القوات الأجنبية. وفقًا لبلوم (2005)، فلسطين، والشيشان، وسريلانكا تقدم أمثلة على الانتحاريين الذين فقدوا أحد أفراد الأسرة من قبل (دولة غير عادلة)، وعقدوا العزم على المشاركة في مهام انتحارية للتعبير عن غضبهم. ريكولفي، (2005). بالإضافة إلى ذلك، يمكن للمنظمات الانتحارية محاولة تجنيد أشخاص فقدوا ذويهم نتيجة لمكافحة الإرهاب، ومع ذلك وعلى الرغم من أن هناك أمثلة عن نتائج عكسية لآثار عمليات مكافحة الإرهاب الصعبة على صعيد الزيادة في الإرهاب الانتحاري، فيمكننا العثور على حالات تنامت فيها الحملات الانتحارية في أثناء مدة انحسار العمليات الصعبة لمكافحة التمرد. (بيب، 2005).

الفرق الشاسع (حقيقة كان أم منسوبًا) بين الإرهابيين وأعدائهم وأهدافهم

علماء النفس الاجتماعي يعرفون بأنه كلما كبرت الاختلافات التي ينسبها المعتدون إلى ضحاياهم، زاد مستوى العنف الذي يمارس ضدهم، وهذا المبدأ مفيد أيضًا لشرح الميل إلى شن هجمات انتحارية أو تقديم الدعم لها. وكما أشير سابقًا، الناس الذين ينظرون إلى المنظمات الانتحارية والميليشيات التابعة لها على أنهم أعضاء في مجموعتهم أو في مجتمعهم، هم أكثر ميلًا لتقديم الدعم لهم من غيرهم، في الواقع إن الدعم يمكن أن يكون أعلى عندما يدرك المجتمع

الحاضن للإرهابي الاختلافات الواضحة بينهم وبين أهداف هذه الهجمات. على الرغم من أن الباحث بيب يؤكد ما يبدو أن هذا التباين يمكن أن يتم أساسًا أو حصرًا على أساس الجنسية أو الدين أو غيرها من الاختلافات. المسألة أيضًا -على سبيل المثال- الاختلافات في المواقف السياسية أو حتى في المهنة (تذكر أن الهجمات الانتحارية ضد الجيش أفرادًا أو مسؤولين كبارًا تحصل عادة على الدعم الاجتماعي بأكثر من تلك الهجمات التي تنفذ ضد المدنيين). على أي حال، لا تُعدُّ أيٌّ من هذه الخصائص هي الشروط اللازمة للمشاركة في الإرهاب الانتحاري أو دعمه. في الواقع، الاختلافات الفريدة الأكثر تأثيرًا التي تفصل هوية الإرهابيين عن هوية ضحاياهم تعتمد على الأفكار النمطية والمعتقدات المنحازة، بدلًا من التركيز على الجنسية، أو الدين، أو المهنة. هذه الأفكار النمطية والمعتقدات التي تعد عناصر أساسية للفكر، والخطاب والدعاية للمنظمات الإرهابية الانتحارية، تشكل صورة لأهداف الهجمات الإرهابية، حيث إن الأعداء يوصفون في كثير من الأحيان بسمات لا تليق بالبشر أو متلبس بمس من الشيطان. باندورا، 1998. وصمة العار والإهانة والاستطراد الشيطاني وإستراتيجيات الدعاية تستخدم جميعها من أجل استبعاد الضحايا من المجال العادي للأخلاق. وكما بيَّن أوبتو (1990) الناس الذين يستبعدون أخلاقيًّا ينظر إليهم على أنهم أناس تافهون ومستهلكون أو غير جديرين بالاحترام، ومن ثم إيذاؤهم أو قتلهم يبدو أمرًا مقبولًا، ومناسبًا، أو حتى عادلًا. ومع انتشار ثقافة الاستشهاد (انظر أدناه) الانتقاص من قيمة الضحايا يمكن أن يزيد الإرهاب الانتحاري من خلال إعادة تعريف تلك الممارسة بوصفها أفعالًا مقبولة أخلاقيًّا.

نشر ثقافة الاستشهاد

إن نشر الثقافة التي تؤطر لموت الانتحاريين بوصف أن ما يقومون به يُعدُّ من أفعال التضحية والإيثارية لأجل مجتمعاتهم (بمعنى العمليات الاستشهادية)، هو على الأرجح يسرع من التطرف، والتعبئة، والاستقطاب الذي يحفز الإرهاب الانتحاري.

تعزيز ثقافة الاستشهاد يتطلب في المقام الأول اختيار واستغلال النصوص، والتقاليد، والأساطير والرموز، والطقوس المستخرجة من الثقافة أو الدين الذي يتقاسمه مروجو الانتحار

مع جمهورهم من المؤيدين، ولا يهم إن كان المجتمع محليًّا أو جمهور الأنصار الموزعين عبر الحدود الوطنية، ويتواصلون بوساطة الإنترنت. هذا الاختيار من الحجج والرموز يمكّن من خلق مضامين الشهادة: في الأساس، القص المحفز، والخطاب الذي يزيد من الشعور بالتهديد بين أعضاء الجمهور المناصر لهم وتشويه الهجمات الانتحارية بالأخلاق، إلى جانب تشويه صورة أهداف الهجمات الانتحارية. إن ثقافة الاستشهاد التي تشجع القادة والمنظمات الجهادية تضيف جاذبية دينية كبيرة للإرهاب الانتحاري من خلال ربط (العمليات الاستشهادية) ببعض الجوائز السماوية؛ مثل تكفير المرء عن ذنبه، أو دخول الجنة.

بعد إنشاء ثقافتها الاستشهادية، منظمة إرهابية تحاول نشرها من خلال اللجوء إلى مجموعة من الوسائل: الوعظ، الدعاية، خطابات القادة الذين يتمتعون بجاذبية معينة، والسلطات المعرفية والهيئات والمؤسسات والتلقين، وما إلى ذلك. أخيرًا، اعتماد ثقافة الاستشهاد ونشرها كان لها عميق الأثر في خلق حالة من فك الارتباط الأخلاقي (باندورا، 1998)، وهذا هو تعليق المعايير الأخلاقية العادية التي تمنع الناس عادة من تنفيذ القتل والانتحار أو دعمهما. (حافظ، 2007).

الخلاصة

في بعض الجوانب المهمة، الإرهاب الانتحاري لا يختلف كثيرًا عن السلوكيات الاجتماعية الأخرى. أولًا حملات الهجمات الانتحارية تشترك مع سلوك اجتماعي آخر في الهدف نفسه؛ من حث الناس على تغيير مواقفهم وسلوكياتهم (السياسية). ومثل غيرها من الظواهر الاجتماعية، الإرهاب الانتحاري حصيلة مزيج من الدوافع الذرائعية وغير الذرائعية، بما فيها الأهداف الإستراتيجية، والتشغيلية والتكتيكية، بقدر العواطف والمعايير الاجتماعية أو الثقافية. وعمليات التفاعل الاجتماعي والتعريف الاجتماعي هي الجسور التي يصبح من خلالها بعض الأفراد والنشطاء متطوعين لتنفيذ عمليات انتحارية.

وبعد مناقشة هذا التوصيف النفسي للإرهاب الانتحاري، فقد وضعت في هذا الفصل شرحًا شاملًا على ثلاثة مستويات: التنظيمية، والفردية، والاجتماعية. إن تطور حملة أي هجوم

انتحاري تنطوي على عمليات حرجة؛ على المستوى التنظيمي، مطلوب التحول الإستراتيجي لصالح العنف والانتحار، وعلى المستوى الفردي، التطرف الشديد تجربة يجب أن تتم قبل أن يقرر الأفراد والمسلحون أن يصبحوا مفجرين انتحاريين. أخيرًا، على المستوى الاجتماعي، تأثير الاستقطاب في صميم المجتمع الحاضن للإرهابي قد يكون ضروريًّا لزيادة القبول الشعبي بالانتحار الإرهابي ودعم المنظمات الانتحارية. إن احتمال قيام شبكة إرهابية أو جماعة أو منظمة إرهابية بالترويج أو إطالة أمد الحملة الإرهابية الانتحارية تتأثر ببعض عوامل الخطورة المرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالعمليات الثلاثة المذكورة أعلاه. الصراعات غير المتماثلة، ومشاعر الركود، وأزمة أو فشل استخدام أساليب إرهابية تمردية أخرى، والتعايش بين مجموعات إرهابية عدة أو مجموعات تمرد الجماعات المتمردة، وإمكانية الوصول المعرفي إلى ما قبل وجود النشاط الإرهابي الانتحاري، هي جميع الظروف التي يمكن أن تدفع الإرهابيين لشن هجوم انتحاري أو حملة انتحارية. من ناحية أخرى، تحليلنا لعمليات التطرف والاستقطاب يشدد على تأثير عوامل متعددة، بما في ذلك النزاعات المستعصية والخلافات الحادة النزاعية، وسمة الموت، والصدمة الشخصية أو القريبة، وإستراتيجيات مكافحة الإرهاب الدموية، والاختلافات المتصورة القوية بين الإرهابيين وخصومهم، وثقافات الاستشهاد.

إن العوامل النفسية الاجتماعية المتعددة التي تنطوي عليها ديناميات الانتحار يجب أن تؤخذ في الحسبان لمواجهة هذه الممارسة المميتة، فمن خلال فهم هذه العوامل، يتعين على صناع القرار والمسؤولين الأمنيين أن يكونوا قادرين على التنبؤ بشكل أفضل عندما تتطور التهديدات الإرهابية إلى تعبيرات العنف الانتحاري. وبالإضافة إلى ذلك، ينبغي توجيه هذه المعرفة، ويجب أن تكون المرشدة إلى تنفيذ إجراءات مضادة طويلة الأجل وقصيرته. نهجنا هذا يسلط الضوء على أهمية تصميم وتنفيذ التدخلات التي تعمل على المستوى التنظيمي، وعلى المستوى الفردي، والمستويات الاجتماعية. وهذا هو، وفقًا للمنظور النفسي الاجتماعي حيث ثلاث مهام هي على قدم المساواة لمنع الإرهاب الانتحاري. أولًا: لتبعد الجماعات والمنظمات الإرهابية من تصعيدها في طرق الانتحار. ثانيًا وثالثًا: لتفادي الظروف والتأثيرات والتجارب والإجراءات التي من شأنها أن تعزز ظهور المواقف الفردية والاخلاص الاجتماعي للعنف الانتحاري والمنظمات الانتحارية.

المراجع

REFERENCES

Arndt, J., Greenberg, J., & Cook, A. (2002). Mortality salience and the spreading activation of worldview–relevant constructs: Exploring the cognitive architecture of terror management. Journal of Experimental Psychology, 13(3), 307–324.

Atran, S. (2006). The moral logic and growth of suicide terrorism. The Washington Quarterly, 29(2), 127–147.

Bandura, A. (1979). The social learning perspective: Mechanisms of aggression. In H. Toch (Ed.), Psychology of crime and criminal justice (pp. 193–236). Prospect Heights, IL: Waveland Press.

Bandura, A. (1998). Mechanisms of moral disengagement. In W. Reich (Ed.), Origins of terrorism: Psychologies, ideologies, theologies, states

of mind (pp. 161–191). Cambridge: Cambridge University Press.

Bar–Tal, D. (2000). Shared beliefs in a society: Social psychological analysis.

Thousand Oaks, CA: SAGE.

Bar–Tal, D. (2007). Sociopsychological foundations of intractable conflicts.

American Behavioral Scientist, 50(11), 1430–1453.

Bloom, M. (2005). Dying to kill. The allure of suicide terror. New York:

Columbia University Press.

Castells, M. (2004). La era de la información (vol. II): el poder de la identidad.

Madrid: Alianza.

Coleman, J. S. (1990). Foundations of social theory. Cambridge: Harvard

University Press.

Dalgaard–Nielsena, D. (2010). Violent radicalization in Europe: What we

know and what we do not know. Studies in Conflict & Terrorism, 33(9), 797–814.

SUICIDE TERRORISM EXPLAINED 39

Della Porta, D. (1995). Social movements, political violence, and the state:

A comparative analysis of Italy and Germany. New York: Cambridge Universi–ty Press.

Della Porta, D., & Diani, D. (2006). Social movements: An introduction.

Oxford: Blackwell.

De La Corte, L. (2006). La lógica del terrorismo. Madrid: Alianza.

De La Corte, L., & Giménez–Salinas, A. (2009). Suicide terrorism as a tool of in–surgency campaigns: Functions, risk factors, and countermeasures.

Perspectives on Terrorism, 3(1), 11–19.

De La Corte, L., Kruglanski, A., De Miguel, J. M., Sabucedo, J. M., & Díaz, D. (2007). Seven psychosocial principles for explaining terrorism.

Psychology in Spain, 2008, 12(1), 70–80.

Elster, J. (2006). Motivations and beliefs in suicide missions. In D.

Gambetta (Ed.), Making sense of suicide missions (pp. 233–258). Oxford: Oxford University Press.

Fields, R. (1979). Child terror victims and adult terrorists. Journal of Psychohistory, 7(1), 71–76.

Gambetta, D. (2006). Making sense of suicide missions. Oxford: Oxford Univer–sity Press.

Ganor, B. (2001). The rationality of the Islamic radical suicide attack phenomenon.

In B. Ganor (Ed.), Suicide terrorism: An overview. Herzliya:

Institute for Counterterrorism.

Gill, P. (2007). A multidimensional approach to suicide bombing.

International Journal of Conflict and Violence, 1(2), 142–159.

Greenberg, J., Pyszczynski, T., Solomon, S., Rosenblatt, A., Veeded, M. Y., & Kirk–lan, S. (1990). Evidence of terror management theory II:

The effects of mortality salience reactions to those who threaten or bolster the cultural worldview. Journal of Personality and Social Psychology, 58(2), 308–318.

Gupta, D. K., & Mundra, K. (2005). Suicide bombing as a strategic weapon. An empirical investigation of Hamas and Islamic jihad.

Terrorism and Political Violence, 5(17), 573–598.

Hafez, M. (2007). Martyrdom mythology in Iraq: How jihadists frame

suicide terrorism in videos and biographies. Terrorism and Political Violence, 19(1), 95–115.

James, W. (1891). The principles of psychology. London: Macmillan.

Kahneman, D. (2011). Thinking fast and slow. New York: Farrer, Straus &

Giraux.

Kalyvas, S., & Sánchez Cuenca, I. (2006). Killing without dying: The absence of suicide missions. In D. Gambetta (Ed.), Making sense of suicide missions (pp. 209–233). Oxford: Oxford University Press.

Kriesberg, L. (1998). Intractable conflicts. In E. Weiner (Ed.), The handbook of interethnic coexistence (pp. 332–342). New York: Continuum.

40 LUIS DE LA CORTE IBÁÑEZ

Krueger, A. B., & Maleckova, J. (2002). Does poverty cause terrorism?

The New Republic, 226(24), 27–33.

Kruglanski, A. W., Chen, X., Dechesne, M., Fishman, S., & Orehek, E.

(2009). Fully committed: Suicide bombers' motivation and the quest for

personal significance. Political Psychology, 30(3), 331–357.

Kruglanski, A., & Fishman, S. (2009). Psychological factors in terrorism

and counterterrorism: Individual, group, and organizational levels of analysis. Social Issues and Policy Review, 3(1), 1–44.

Lankford, A. (2010). Suicide terrorism as a socially approved form of suicide. Crisis: The Journal of Crisis Intervention and Suicide Prevention, 31(6), 287–289.

Lankford, A. (2011). Requirements and facilitators for suicide terrorism: An explanatory framework for prediction and prevention. Perspectives on Terrorism, 5(5–6), 70–80.

Lavine, H., Lodge, M., Polichak, J., & Taber, C. (2002). Explicating the black box through experimentation: Studies of authoritarianism and threat. Political Analysis, 10(4), 343–361.

Merari, A. (1990). The readiness to kill and die: Suicidal terrorism in the Middle East. In W. Reich (Ed.), Origins of terrorism: Psychologies, ideologies, theologies and states of mind (pp. 192–207). Cambridge: Cambridge University Press.

Merari, A. (2005). Social organizational and psychological factors in suicide terrorism. In T. Bjorgo (Ed.), Root causes of terrorism. London: Routledge.

Moghadam, A. (2007). Suicide terrorism, occupation and the globalization of martyrdom: A critique of dying to win. Studies in Conflict and Terrorism, 29(8), 707–729.

Montuori, A. (2005). How to make enemies and influence people: Anatomy of the anti–pluralist, totalitarian mindset. Futures, 37(10), 18–38.

Mursheda, S. M., & Pavan, S. (2011). Identity and Islamic radicalization in Western Europe. Civil Wars, 13(3), 259–279.

Opotow, S. (1990). Moral exclusion and injustice: An overview. Journal of Social Issues, 46(1), 1–20.

Pape, R. A. (2005). Dying to win: The strategic logic of suicide terrorism.

New York: Random House.

Pedahzur, A. (2004). Toward an analytical model of suicide terrorism.

A comment. Terrorism and Political Violence, 16(4), 841–844.

Ricolfi, L. (2005). Palestinians: 1981–2003. In D. Gambetta (Ed.), Making

sense of suicide missions (pp. 77–130). Oxford: Oxford University Press.

Rosenberg, S. W. (1995). Against neoclassical political economy: A political

psychological critique. Political Psychology, 16(1), 99–136.

SUICIDE TERRORISM EXPLAINED 41

Sageman, M. (2004). Understanding terrorist networks. Philadelphia, PA:

University of Pennsylvania Press.

Sageman, M. (2008). Leaderless jihad: Terror networks in the twenty−first

century. Philadelphia, PA: University of Pennsylvania Press.

Schimel, J., Simon, L., Greenberg, J., Pyszczynski, T., Solomon, S., Waxmonsky, J., & Arndt, J. (1999). Stereotypes and terror management: Evidence that mortality salience enhances stereotypic thinking

and preferences. Journal of Personality and Social Psychology, 77(5), 905–926.

Silke, A. (2006). The role of suicide in politics, conflict and terrorism.

Terrorism and Political Violence, 18(1), 35–46.

Simon, H. A. (1995). Rationality and political behavior. Political

Psychology, 16(1), 45–61.

Simon, B., & Klandermans, B. (2001). Politicized collective identity: A social psy−chological analysis. American Psychologist, 56(4), 319–331.

Speckhard, A., & Akhmedova, K. (2005). Talking to terrorists. Journal of Psycho−history, 33(2), 125–156.

Tajfel, H., & Turner, J. C. (1986). The social identity theory of intergroup behavior. In S. Worchel & W. G. Austin (Eds.), Psychology of intergroup relations (pp. 7–24). Chicago, IL: Nelson–Hall.

Taylor, M., & Horgan, J. (2006). A conceptual framework for addressing psychological process in the development of the terrorist. Terrorism and Political Violence, 18(4), 585–601.

Taylor, D. M., & Louis, W. (2003). Terrorism and the quest for identity. In F. M. Moghaddam & A. J. Marsella (Eds.), Understanding terrorism. Psychological roots, consequences and interventions. Washington, DC: American Psychological Association.

Turner, J. C., Hogg, M. A., Oakes, P. J., Reicher, S. D., & Wetherell, M. S. (1987). Rediscovering the social group: A self–categorization theory. New York: Blackwell.